جـــامعـــة الجـــزائـــر2
UNIVERSITÉ ALGER2
مجلة مشكلات الحضارة

دور المسلم ورسالته عند مالك بن نبي

The role of the Muslim and his message at Malik bin Nabi

د. زروالي وسيلة
جامعة أم البواقي
.frzeroualiwassila@yahoo

تاريخ الإرسال: 2020-07-19 **تاريخ القبول:**2020-10-24
تاريخ النشر:2020-12-15

ملخص:
ألقى مالك بن نبي عام ألف وتسعمائة واثنين وسبعون محاضرتين في دمشق، عن **"دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين"** وكانت آخر محاضرتين يلقيهما قبيل وفاته، فاعتبرت بمثابة الوصية التي استودعها ضمير الشباب المسلم.
وبرؤيته التحليلية والإستشرافية للواقع والمستقبل توصل مالك بن نبي إلى أن الحضارة الإنسانية تتجه إلى العالمية، وأن المسلم لديه ما يقدمه، بل هو أمل الإنسانية الوحيد في الخروج من ظلمات التيه والقلق والاضطرابات. لذلك تحدد دوره ورسالته من جديد **في أن ينقذ نفسه وينقذ الآخرين**، وذلك بأن يعرف نفسه، وأن يعرف الآخرين ، وأن يعرف الآخرين بنفسه.

Abstract:

In 1972, Malik bin Nabi gave two lectures in Damascus on " the role of the Muslim and his mission in the last third of the 20th century ", they was the last tow lectures he gave before his death.

In his analytical and visionary vision of reality and the future, Malik bin Nabi concluded that human civilization is heading towards universality, and that the Muslim has what he offers. It is the only hope of mankind to emerge from the darkness of chaos, anxiety and turmoil. So he renews his role and mission again in saving himself and saving others, by knowing himself, knowing others, and knowing others himself.

مقدمة :

لما عرج مالك بن نبي على المشرق العربي بعد رحلة الحج الأخيرة ألقى محاضرتين الأولى في شهر مارس من عام ألف وتسعمائة واثنين وسبعون، والثانية في شهر مايو من نفس العام ، واعتبرت آخر محاضرتين يلقيهما قبيل وفاته عن **"دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين "**، والتي يمكن أن نطلق عليهما اسم الوصية التي أودعها ضمير الأمة والشباب المسلم خاصة، ولكأنما أراد رحمه الله أن يعلق عيون المسلمين نحو مستقبل يشاركون في التخطيط لصنعه وبلوغه، لا كما أريد لهم دائما أن يكونوا ضمن مخططات الآخرين. حيث أدرك منذ وقت مبكر أن الحضارة الإنسانية تتجه إلى العالمية وأن البشرية ستصل إلى ما يعرف اليوم بالعولمة والقرية الكونية الموحدة، فقد انتبه إلى هذه الصيرورة منذ وقت مبكر وأبدع الكلام في مقدماتها وأهميتها وضرورتها، فابن نبي يعد بحق من الأوائل الذين انتبهوا بعمق ووعي إلى مفهوم الحضارة العالمية ؛ فلقد رأى أن تحولات القرن العشرين ساهمت في إحداث تحول نوعي في وعي ورؤية الشعوب إلى قضايا الحضارة والعالم؛ مما يحتم على كل ثقافة أدركت حقيقة مشكلاتها الداخلية والاتصالية أن تدرك حقيقة مشكلات أخرى على مستوى عالمي، فهذا التوجه نحو العالمية وهذه الوحدة في المشكلات الإنسانية، وهذا التلاحم والتلاقي والاشتراك في تحمل مسؤولية المصير البشري ومسؤولية الحضارة إنما هو ثمرة لهذا الواقع العالمي الجديد، ونتيجة منطقية

لتكرس قيم ومفاهيم الحضارة العالمية في واقع البشرية الاجتماعي، فلم يعد ممكنا مطلقا لأي مجتمع أن يستقل بعلاج مشكلاته لوحده أو الانغلاق على ذاته، بل أصبح ضروريا له أن يحضر في دوائر الوعي المختلفة انطلاقا من دائرة الوعي الذاتي إلى دائرة الوعي الأسري فالمحلي فالقومي، فالإقليمي، فالدولي فالإنساني، فالعالمي، فالكوني. **(برغوث، 2005، ص 52 - 57).**

يقول **(مالك بن نبي، 1991، ص 121)**: "إن من الواضح أن الضمير الإنساني في القرن العشرين لم يعد يتكون في إطار الوطن والإقليم، وهذا مع اعترافنا بأن أرض المولد التي يعيش عليها الناس تمدهم بالبواعث الحقيقية لمواقفهم العميقة، غير أن الضمير الإنساني في القرن العشرين إنما يتكون على ضوء الحوادث العالمية التي لا يستطيع أن يتخلص من تبعاتها، وإن مصير أي جماعة إنسانية يتحدد جزء منها خارج حدودها الجغرافية، فالثقافة أصبحت تتحدد أخلاقيا وتاريخيا داخل تخطيط عالمي".

ويعرض **"مالك بن نبي "** من خلال محاضرته **" دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين"** والتي طبعت ونشرت بعد موته كيف يمكن أن يسهم المسلم في تأدية الدور الحضاري المميز الذي اختاره الله له، ذلك أن الدور والرسالة تحددان المنهج والوجهة والغاية والهدف. **يقول (الراشد، 2004، ص 15):** إن الشخص الذي لا رسالة له ولا رؤية معرض لهزات اجتماعية ونكبات مالية واضطرابات نفسية، أغلب الذين لا رؤية ولا رسالة لهم يدركون هذه الحقيقة متأخرا، إن كل يوم يمر محسوب عليهم، بينما صاحب الرسالة والرؤية كل يوم يمر عليه محسوب له، إن قبطان السفينة الواضح في اتجاهه ومقصده يكون الوقت في صالحه، لأنه كلما مر الوقت قرب من هدفه وحقق رسالته وما ينطبق على الأفراد ينطبق على المؤسسات والمجتمعات والدول.

1. مشكلة الدراسة:

يعيش العالم اليوم عصرا مطبوعا بطابع العالمية في مستواه العلمي والفكري والثقافي والسياسي والاجتماعي والحضاري، ويتميز بارتباط المصير الإنساني ببعضه البعض، وبهيمنة النموذج الغربي الذي أصبغ فوضاه على العالم، فأصبحت أزمته أزمة عالمية، تأثرت بها كل الأمم والمجتمعات، إضافة إلى أزمات المسلمين الخاصة التي انتهت بهم إلى التخلف والتبعية في جميع الميادين.

ويطرح هذا العصر تحديات كثيرة سواء في مستوى تحدي النموذج المعرفي، أو تحدي الأزمة الأخلاقية أو تحدي الفساد الكوني (**بن لحسن ، 2017**). فهذا العالم هو أسير العصر الحديث في مختلف صوره وقد بدأ منذ نهاية الحرب العالمية الثانية يتقلب في فوضى الوزن والكم والتكاثر الذي يسبق مسيرة الزمن وتخلق الحياة على الأرض، فالعصر الصناعي أضحى في حرب ضد البيئة الكونية والإنسان، وهذا ما يعبر عنه القلق والاضطرابات في العالم **(مسقاوي، 2005 ، ص 21)**، ولا شك أن المأزق العالمي الذي تعيشه الإنسانية بشقيها المتقدم والمتخلف، لا يمكن مواجهته بالانكفاء على الذات والاستقالة من مجال صناعة التاريخ؛ لذلك تتحدد مشكلة هذه الدراسة بالأسئلة التالية: ما هو دور المسلم وما رسالته في زمن الحضارة العالمية؟ وكيف يمكن أن يسهم في حل أزمة الإنسانية التي تنتظر منقذا يرفعها من مهاوي الإخفاق والتيه والمادية، إلى مستوى نور الهدي الرباني واستقامة المنهج، ووضوح الرؤية القائمة على التوحيد لله عز وجل ؟

2. أهداف الدراسة: تهدف هذه الدراسة من خلال قراءة تحليلية لفكر مالك ابن نبي إلى:

1) تقصي دور المسلم ورسالته في زمن العولمة.
2) تبيان كيف يمكن أن يسهم المسلم فيتأدية الدور الحضاري المميز الذي اختاره الله له .

3. أهمية الدراسة: تفيد هذه الدراسة في الإشارة إلى ما يلي:

1) إن المسلم صاحب رسالة عظيمة عليه تبليغها، وصاحب دور عليه تحمل تبعاته، ويتوجب عليه بمقتضاه أن ينقذ نفسه وينقذ الإنسانية التائهة في ظلمات الحروب والنزاعات والأمراض النفسية والمعضلات الاجتماعية والأزمات الاقتصادية. فلا حديث عن الدور الحضاري بدون دور فاعل وأساسي في حل مشكلات الإنسانية بشقيها المتخلف والمتقدم.
2) على المسلم أن يحدد أهدافا يصبو إلى تحقيقها وأن يضاعف من نشاطه لأن هناك تغيرات جذرية ينبغي أن تخطط وتطبق في وعي شعوب العالم العربي والإسلامي وطرائق تفكيره، وأنماط التعايش

العنوان: جامعة الجزائر2، عمارة مخابر البحث،شارع جمال الدين الأفغاني – بوزريعة – الجزائر-**الموقع الإلكتروني(URL):** http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/283 -

الحضاري، والمناهج التربوية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية والتقنية ، لكي يتمكن من جديد من بناء إنسان وثقافة وحضارة التفاعل والسلام والتعايش والتوازن والقوة والنفع الحضاري العام للبشرية.

4. . مصطلحات الدراسة:

1) **الدور:** هو مجموع الأفعال والتصرفات والسلوكيات التي تصدر عن الفرد المسلم، والتي تعبر عن موازنة معتقداته وأفكاره وأخلاقه، واتجاهاته وقناعاته وآرائه.
2) **الرسالة:** هي الدور والمهمة الكبرى التي يسعى الإنسان إلى تحقيقها، والتي تحدد له الغاية من الحياة وتنير له الطريق، والتي لا تنتهي بموته، ليتسلمها من يأتي بعده.

5. منهج الدراسة: استخدمت الباحثة في هذه الدراسة المنهج الاستنباطي القائم على النظر، والتفكر، والشرح، والتحليل لكتابات ومؤلفات مالك بن نبي التي نشرت في حياته أو بعد موته، وكذلك ما كتب عنه وما عرض من تحليل لأفكاره.

إجابة السؤال الأول: ما دور المسلم ورسالته في زمن العولمة؟

يجيب الأستاذ مالك بن نبي على أن دور المسلم بعامة قد حدده الله له كأفضل وأشرف دور بقوله عز وجل في محكم تنزيله **"﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليك شهيدا ﴾ (سورة البقرة، الآية 143)**، وفي إطار هذا الدور العام تتحدد رسالة المسلم، فبالنسبة لابن نبي المسلم هو الأمل الوحيد للحضارة فلكأنما أراد الله عز وجل تعطيل دوره وتأجيله حتى تنتهي تجارب الآخرين بالفشل، ويستطيع إصلاح أخطائهم أو حتى تصل تجاربه هو نفسه إلى نهاية فشلها فتكون له الخبرة لتعرف أخطائه وتداركها وإصلاحها، و لكن كيف يمكن أن يكون المسلم هو أمل الإنسانية؟ أليس من التناقض أن يكون خلاص البشرية متوقف على عالم منهار؟ على عالم متخلف في جميع مجالات الحياة، عالم ملئ بالفوضى والعبثية في كل شئ ؟. فكيف نتصور دور المسلم؟

يقول مالك بن نبي:" نتصوره طبقا لضرورات داخلية وضرورات خارجية، ضرورات إنشاء وتشييد في الداخل، وضرورات اتصال وإشعاع في الخارج."هذا الاتصال بالطبع يقتضي التبليغ إذ هو الوسيلة الوحيدة لنشر الإسلام وهذا منطقي، لكن الواقع الحالي للمسلم هل يبلغ به القدرة علي هذا التبليغ؟ هل يستطيع أن يحقق شروط هذا العطاء، أو هل يستطيع الماء الجاري في مجري أسفل أرض عطشى أن يقوم بريها، أم أن عليه أن يكون أعلى من تلك الأرض وأكثر فيضا من مستواها حتي يبلغ الماء وجهته والغرض منه؟ إن وضع المسلم اليوم في حقيقته هو ذلك المجري السفلي الذي لا يستطيع أن يفيض بمائه علي أرض تعلوه إنها سنة الله أن الماء ينحدر من أعلى إلي أسفل وليس العكس، إن على المسلم أن يرتفع بما لديه من فيض يروي به عطش الإنسانية إلي المستوي الحضاري اللازم ليكون في مستوى أعلى بما يؤهله للعطاء الذي يملكه ليضمن السعادة والهدي للإنسان، فقد فقد العالم قداسة كل شيء، والقداسة لله وحده ولن ينالها الإنسان إلا إذا ارتبط بالله الواحد الأحد، وهو ما يملكه المسلم بالدين الذي يحمله، فالعالم يحتاج لتلك القداسة كي يبقي وكي يستمر وليس ذلك عند أحد إلا المسلم الذي يجب عليه أن يرقي لدرجة العطاء والهيمنة والهدي ليتم مهمة الشهادة ويكون جديرا بها، **و**هنا يتحدد دور **المسلم ورسالته** بأنها على: **"المسلم إنقاذ نفسه وإنقاذ الآخرين (مالك بن نبي، 2016، ص35)**، فمالك بن نبي كان يرى منذ بداية إنتاجه الفكري أن العالم يتجه نحو التكتل، وأن على الإسلام أن يوجد أو يعيد دوره الحقيقي ألا وهو الدور الاجتماعي الإنساني، فلم يعد ممكنا قطع العلاقة مع الحضارة الغربية التي تمثل إرثا إنسانيا هائلا وإنما بات من الضروري تنظيم هذه العلاقة مع تلك الحضارة **(رحمة مالك بن نبي، 2005، ص11)**، وبذلك يصبح الاقتباس من أوروبا والاتصال بالتطور الكمي في الهيمنة على مسيرة الإنسانية يتطلب من**"القابلية للاستعمار"** التي هي الوجه الآخر للاستعمار أن تنظر إلى الظواهر الغربية الأوروبية الراهنة على أنها مسألة نسبية لا تعبر عن الحقيقة المطلقة في مسيرة التقدم ،حيث يستطيع العالم العربي والإسلامي أن يعرف وجوه النقص في الحضارة الغربية كما سيتعرف على عظمتها الحقيقية، وبهذا تصبح الصلات والمبادلات أعظم خصبا، وحينئذ يستطيع العالم الإسلامي أن يبني مفهوما تبادليا تنسج عليها الولادة الجديدة خياراتها وأنشطتها **(مسقاوي، 2005، ص 17-18)**، ويصبح أمام العالم الإسلامي واجب حضاري

العنوان: جامعة الجزائر2، عمارة مخابر البحث،شارع جمال الدين الأفغاني – بوزريعة – الجزائر-**الموقع الإلكتروني(URL):** http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/283 -

عام هو المساهمة في علاج مشكلات الحضارة والبشرية؛ ولكن كيف و المسلم لا يملك شيئا أمام قوة وبطش حضارة التكنولوجيا، ولا يملك شيئا من أدوات الحضارة وما هو إلا سوق استهلاكية لمنتجات الحضارة الغربية التي أحسن تكديسها ،فكيف به يستطيع أن ينقذ نفسه وينقذ الآخرين؟.

وفي هذا الشأن يراهن بن نبي على الجانب الروحي والذي به تتأكد إنسانية الإنسان إذ يستمد ابن نبي نظرته إلى الإنسان من القرآن الكريم الذي أضفى صفة القداسة والتكريم والتفضيل مصداقا لقوله تعالى في محكم تنزيله "﴿ **ولقد كرمنا بني آدم، وحملناهم في البر والبحر، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾ (سورة الإسراء ، الآية 70)**، وهذا التكريم ليس خاصا بالعربي أو بالمسلم بل بنوع (ذي اليدين) كله من ذرية آدم". يقول ابن نبي في كتابه من شروط النهضة: "أما الإسلام فقد أعطى للإنسان كل حجمه في ضمير المسلم لأنه وضع قيمته في هذا الضمير، لا على تقدير الكم ولكن على أساس غيبي يجعلها قيمة لا متناهية"، وهي نظرة مغايرة تماما لنظرة النظم الاجتماعية والسياسية البشرية المادية فالإنسان في المصدر القرآني يمثل وحدة متكاملة غيبية في تفاصيلها ومتمايزة في تنوعها لكنها بسيطة ومتداخلة في النهاية؛ فالله هو المطلق صاحب القدرة والإرادة العليا، والقدرة المطلقة تجعل كل شيء نسبيا في فعل الإنسان، وهكذا يتدخل الغيب الإلهي في النهاية في قدر الإنسان، فيبدأ عالم الأخلاق حين يمسك الحساب الإلهي نهاية الحياة كأساس ومعيار سلوكي لمدى الطاعة للقانون الإلهي. ومن خلال هذا المفهوم يصبح الإنسان لديه امتياز خاص بين سائر المخلوقات هو معرفة الله المستحق للعبادة والاستجابة له القدير الحكيم، العزيز الرحيم، فيكون بذلك هو الكون الأصغر، وصورة الكون الأكبر ولذلك استحق أن يكون خليفة الله في الأرض **(مسقاوي، 2005، ص 19)**، حيث لا يدع مجالا للشك أن السبل الواصلة إلى الإنسانية الحقة تمر عبر القيم الأخلاقية و الحركيات السامية وأنه ليس أمام الإنسان المعاصر اليوم الذي انقصم ظهره تحت ثقل أزمات اجتماعية واقتصادية وسياسية وثقافية مختلفة، وناء بحمل حدبات عديدة في آن واحد ، إلا طريقا واحدا ينقذه من الكروب والملمات المتوالية ، وهو تفعيل هذه الحركيات السامية في كافة أنحاء الحياة، وحيث لا يمكن تنفيذ هذه المهمة الحيوية إلا على أيدي أناس ذوي أخلاق وهمم عالية ،لا يهتمون بأنفسهم أبدا، ولأن اهتموا فلأنهم يؤمنون بأن خلاصهم هو في إنقاذ الآخرين **(بابا عمي، 2016، ص 56)**.

إجابة السؤال الثاني :كيف يمكن للمسلم أن يؤدي الدور العام الذي اختاره الله له؟

والجواب وفقا لمالك بن نبي سيكون: يجب على المسلم أن يضطلع برسالته، وأن يفكر في إعجازه وإعجازه لا يتأتى إلا بتحقيق شرط جوهري وهو تغيير ما بنفسه وتغيير ما في محيطه، مصداقا للآية الكريمة: ﴿ **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ (سورة الرعد، الآية 11)**، وهذه حقيقة علمية يجب أن يتصورها المسلم قانونا إلهيا وضعه الله عز وجل في القرآن الكريم، فتغيير النفس سنة من سنن الله التي تسير عليها حياة البشر تغيير النفس باتجاه الإيمان بالله، والاستقامة في الأداء الاقتصادي والاجتماعي بحيث تزول الفجوة نهائيا بين الضمير والعلم من أجل استقامة الحياة على هذا الكوكب الكوني **(مسقاوي، 2005، ص 18)**؛ فسنة التغيير لا تتخلف وبقدر ما سنغير في منظومتنا النفسية الداخلية ؛ بقدر ما ستكون حضارتنا. وقد غير الغرب في منظومته الفكرية والنفسية، فتترس بالإرادة، وحطم المستحيل، وانطلق يكتشف الآفاق، وأسس حضارة مادية كبيرة ومبهرة. وعندما فشل في تغيير الشق القيمي والديني في منظومته، فشل في أن يتوج حضارته بالقيم الفاضلة، وأن يربطها بنداوة السماء. (سلطان (www.4nahda.com/books/philo.pdf،

ولقد أفاض المحللون في تحليل فكر ابن نبي ومنهجه في التغيير إذ يرى **(عدوان ، 2007 ، ص 283 – 284)** بأن مشكلة التغيير في العالم الإسلامي في حاجة إلى تخطيط، وفي حاجة إلى الإجابة عن مجموعة من التساؤلات من بينها:

1) ماذا يجب تغييره في النفس المسلمة لكي نُبْرِئ (مرض العالم الإسلامي)؟
2) ما هي الوسائل والمناهج إلى هذا التغيير؟
3) وما هو الهدف أو السبب النهائي الذي يهدف إليه تغيير كهذا؟"

العنوان: جامعة الجزائر2، عمارة مخابر البحث،شارع جمال الدين الأفغاني – بوزريعة – الجزائر-**الموقع الإلكتروني(URL):** http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/283 -

ذلك أن النهضة العربية والإسلامية في بوادرها قد عانت من سوء التخطيط فلم تحدد الغاية والوسيلة بينما التخطيط ضرورة لبلوغ الحضارة، وهو نتيجة من نتائج الثقافة، وإن العالم الإسلامي يعيش في غير تاريخه، ودون خطة في عالم حديث مخطط، وفي عالم التخطيط والخطط .

ولقد أجمل مالك بن نبي أسباب الضعف الفكري للنهضة العربية فيما يلي:

1) عدم تشخيص المشكلات الاجتماعية تشخيصاً صحيحاً.
2) عدم تشخيص غاية النهضة بصورة واضحة.
3) عدم تحديد الوسائل تحديداً يناسب الغاية المنشودة ويناسب الإمكانيات ولو كانت بسيطة.

وقد دعا مالك بن نبي إلى فكرة مؤتمر إسلامي تخطيطي مهمته مناقشة الأسئلة الثلاث السابقة والإجابة عليها بطريقة ملائمة. وإن مؤتمر كهذا سيضع النقاط على الحروف، فأقل دور يؤديه هو تحديد هدف للعالم الإسلامي يؤديه وسط هذه الحضارات المهترئة التي ضاعت فيها قيم الأخلاق والجمال، وتحديد الهدف يعني ضمناً وجود فكرة سامية يعتزم بلوغها وتبليغها، وهو أول الطريق إلى الحضارة.

يقول **"فتح الله كولن"**: فنحن اليوم بحاجة ماسة قبل كل شئ إلى غاية مأمولة سامية بعيدة المرام هي انبعاثنا برؤيتنا الحضارية وبثقافتنا الذاتية. ولنضع جانبا بلبلة التكوينات الجديدة في العالم، نحن لا نصدق بولادة شيء جديد من الهندام الرأسمالي القديم، أو أحلام الشيوعية أو تكسيراتها الاشتراكية أو هجينها الديمقراطية الاجتماعية، أو خرق الليبرالية البالية، الحقيقة هي أنه إن كان ثم عالم مشرع الأبواب لنظام عالمي جديد فهو عالمنا نحن، وقد يتناوله الجيل القادم على أنه عصر نهضتنا نحن.

وإن إزالة هذا الانحراف الهرم بحاجة إلى اكتشاف أنفسنا من جديد، والعثور على ذاتنا، وإلى جهد متواصل، وهمة أصيلة، فلا مناص من بعث حضاري، والاقتراب من فهم الوجود بنظر إسلامي ،وتقييم الأشياء كلها بالمنطق نفسه **(بوشبكة، 2016، ص 4)**.

لذلك يؤكد المفكر مالك بن نبي على أن ثمة جوانب ثلاث لابد من مراعاتها ليقوم المسلم بدوره ويضطلع برسالته وهي:

أولا - أن يعرف المسلم نفسه:

معرفة النفس لإدراك ضعفها وتغييرها، وذلك بأن يشخص أمراضه الثقافية ويتخلص منها حيث يقف التغيير عند مالك بن نبي على أرضية صلبة إذ أنه يعالج التغيير من جميع الجوانب النفسية والاجتماعية والأخلاقية، وهو يصل إلى نتيجة مفادها أن المجتمع الذي خرج من الحضارة عليه أن يخضع لنفس الشروط التي حركته لأن ينطلق حتى يلعب دوره في التاريخ. وهذه الشروط هي:

أولا: التخلص بفعل عامل تنحية لكل ما أصاب النفس والعقل من براثين وعادات وأمراض رجل ما بعد الموحدين أو رجل ما بعد الحضارة.

ولقد وقف مالك بن نبي على عدة أمراض تنخر جسد العالم الإسلامي، والتي حالت دون خروجه من التبعية والتخلف الذي أراد الاستعمار أن تبقى رهينة فيه ليضمن الهيمنة عليها ماديا ومعنويا، ومن أهم هذه الأمراض:

1) القابلية للاستعمار:

ويعد هذا المفهوم من أشهر المفاهيم التي أبدعها مالك بن نبي والخاصة به، إذ أدرك أن الأمة الإسلامية في خطر لا لأنها تحت الهيمنة الغربية، ولكن لأنها فقدت كثيرا من الدوافع التي رفعت من شأنها في القرون الماضية، وأصبح موقعها زمنيا في عهد ما قبل الحضارة. فللقابلية للاستعمار معنيين : المعنى الأول لهذا المفهوم هو الذي تكون فيه القابلية ناتجة عن الواقعة الاستعمارية وتقبلها واستمزاجها والمعنى الثاني هو الذي تتكون فيه مجموعة من الصفات العقلية والنفسية والتي تجعل المجتمع خاضعا للاستعمار، أو تسهل للاستعمار مهمته وتبرر سيطرته وسطوته، وتؤدي إلى استمرار الوضع المنحل للحضارة، إلا أن المستقرئ للتاريخ يجد أن هناك مجتمعات تعرضت للاحتلال العسكري لكنها مجتمعات غير قابلة للاستعمار مثل احتلال ألمانيا عقب الحرب العالمية الثانية، وكذلك اليابان، وفي المقابل توجد مجتمعات لم تتعرض للاستعمار لكنها قابلة للاستعمار مثل اليمن وبعض البلاد الإفريقية! **(السرجاني، 2014** (https://ar.islamway.net

العنوان: جامعة الجزائر2، عمارة مخابر البحث،شارع جمال الدين الأفغاني – بوزريعة – الجزائر-**الموقع الإلكتروني(URL)**: http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/283 -

2) تحلل شبكة العلاقات الاجتماعية:

لقد كان أول عمل قام به المجتمع الإسلامي في بدايته هو الميثاق الذي يربط بين الأنصار والمهاجرين، وكانت الهجرة نقطة البداية في التاريخ الإسلامي، لا لأنها تتفق مع عمل شخصي قام به النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن لأنها تتفق مع أول عمل قام به المجتمع الإسلامي، أي مع تكوين شبكة علاقاته الاجتماعية، فالفرد الذي يعمل في إطار ذاتي لا يمكنه أن يصنع حضارة ؛ فالمجتمع بعد أن تتمزق شبكة علاقاته الاجتماعية يصبح عاجزا تماما عن أداء نشاطه المشترك، فيتوقف عن أن يكون مجتمعا بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة، بل مجرد تجمعات لا هدف لها ولا طموح ولا مصالح مشتركة، فهي كغثاء السيل **(مالك بن نبي، 1986)**، وهو الوصف الذي ينطبق على أكثر مجتمعات العالم العربي والإسلامي.

3) اللافعالية وغياب المنطق العلمي:

يلاحظ أن ابن نبي لا يتناول الجانب العقلي تناولا مجردا بل يركز أساسا على الجانب العملي منه (المنطق العملي). ويرى أن العقل التطبيقي الذي يتكون في جوهره من الإرادة والانتباه شيء يكاد يكون معدوما في العالم الإسلامي؛ فالنقص في المنطق العملي والعجز في فعالية المجتمع عاملان أساسيان للتخلف إذ يرتبطان بالشلل الفكري وضعف الشخصية وتدهور السلوك. الشيء الذي يلخصه ابن نبي في مفهوم "**اللافعالية**". وقد نجمت "اللافعالية" في المجتمع الإسلامي عن إصابة عالم الأفكار أساسا بالعجز.

ويربط ابن نبي في مكان آخر بين "اللافعالية" وضعف الجانب الروحي على مستوى العلاقات الاجتماعية، فيقول: "وعليه، فليست المشكلة أن نعلم المسلم عقيدة هو يملكها، وإنما المهم أن نرد إلى هذه العقيدة فاعليتها وقوتها الإيجابية وتأثيرها الاجتماعي. ويزيد ابن نبي التشخيص وضوحا ليقترب من تقديم الحلول للداء المشخص "اللافعالية" عندما يقرر: "إن الذي ينقص المسلم ليس منطق الفكرة ولكن منطق العمل والحركة، فهو لا يفكر ليعمل بل ليقول كلاما مجردا بل أكثر من ذلك فهو يبغض أولئك الذين يفكرون تفكيرا مؤثرا، ويقولون كلاما منطقيا من شأنه أن يتحول في الحال إلى عمل ونشاط" وهذا العجز على مستوى العمل والحركة يعوض بآليات دفاعية سلبية تعتمد أساسا على أحلام النوم وأحلام اليقظة. ولذا فإن ابن نبي يصف حالة المسلمين بسبب عجزهم على مستوى المنطق العملي قائلا: "فنحن حالمون ينقصنا المنطق العملي "ولكن لماذا هذا البغض للمنطق العملي؟ ولعل الجواب قد يجد له تبريرا في التفسير النفسي للظاهرة؛ إذ يقتضي الأمر في المنطق العملي عمليتين أساسيتين:

1) بذل الجهد على مستوى التصور؛ وذلك باستعمال ملكة الخيال المبدع.
2) بذل الجهد على المستوى التطبيقي؛ مما يتطلب جهدا أكبر من الجهد الذي يتطلبه التصور المجرد فقط.

إذا فالمنطق العملي يتطلب جهدا ذهنيا وجهدا سلوكيا بالإضافة إلى الجهد الذي يبذل لإخراج الفكرة في قالب جمالي مقبول. وهذا عكس ما هو ملاحظ عند أصحاب الذهن الخامل الذين يعتمدون أساسا على ما يسمى "الطرق المختصرة" للوصول إلى فكرة أو هدف ما. **(**مصطفى عشوي، (faculty.kfupm.edu.sa/MGM/mustafai/.../Man%20in%20Ben%20Nabi%20Thought.do.

عوامل التغيير التربوي عند مالك بن نبي:

يقول مالك بن نبي في كتابه **ميلاد مجتمع** : "إن مجتمعا معينا لا يمكن أن يؤدي نشاطه المشترك دون أن توجد فيه شبكة العلاقات التي تؤلف عناصره النفسية والزمنية. وليس الهدف أن نعلم الناس أن يقولوا أو يكتبوا أشياء جميلة، ولكن أن نعلم كل فرد فن الحياة مع زملائه، أعني أن نعلمه كيف يتحضر فليست التربية مجموعة من القواعد والمفاهيم النظرية التي لا سلطان لها على الواقع، على عالم الأشخاص، وعالم الأفكار، وعالم الأشياء. وليست هي من إنتاج المتعالمين وبحار العلوم الذين يعرفون جميع كلمات المعاجم، دون أن يلموا بما تترجم عنه هذه الكلمات من وقائع خيرا كانت أو شر ، أو أولئك الذين يعرفون جميع المبادئ والتعاليم التي جاءت في الإسلام دون أن يستطيعوا تطبيق مبدأ واحد لتغيير أنفسهم أو تغيير بيئتهم؛ فكل حقيقة لا تؤثر على الثالوث الاجتماعي: الأشخاص والأفكار والأشياء هي حقيقة ميتة، وكل كلمة لا تحمل جنين نشاط معين هي كلمة فارغة، كلمة ميتة مدفونة في نوع من المقابر نسميه القاموس. وكلمة تربية اجتماعية تشترك في هذا المصير العام، فهي لا تعني شيئا إن لم تكن في الواقع وبما تحمل من معنى وسيلة فعالة لتغيير الإنسان، وتعليمه كيف يعيش مع أقرانه وكيف يكون معهم مجموعة القوى

العنوان: جامعة الجزائر2، عمارة مخابر البحث،شارع جمال الدين الأفغاني – بوزريعة – الجزائر-الموقع الإلكتروني(URL): http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/283 -

التي تغير شرائط الوجود نحو الأحسن دائما، وكيف يكون معهم شبكة العلاقات التي تغير شرائط الوجود نحو الأحسن وكيف يكون معهم شبكة العلاقات التي تتيح للمجتمع أن يؤدي نشاطه المشترك في التاريخ. **(مالك بن نبي، 1986)**

ولقد حدد مالك ابن نبي أهم عوامل التغيير التربوي فيما يلي:

1) غرس المبدأ الأخلاقي وتكوين الصلات الاجتماعية.
2) غرس المبدأ الجمالي وتكوين الذوق العام.
3) تكوين المنطق العملي وبث الفعالية الاجتماعية.
4) الإعداد والتكوين المهني والفني والصناعي.
5) تنمية الوعي عن طريق إثارة الحاجة إلى التغيير.
6) تربية الإرادة وتعويد الإنسان المسلم على العمل الدءوب.
7) بناء عالم الأفكار.
8) غرس فكرة الواجب قبل الحق.
9) توجيه العمل.
10) توجيه رأس المال.
11) بث القيمة الاجتماعية للوقت والتراب .
12) تصفية الثقافة من ذهاني الاستحالة والسهولة .
13) فك التبعية والتخلص من القابلية لها .
14) تطبيع المسلم على قيم الديمقراطية .
15) ربط العلم والتعليم بالحاجات الاجتماعية.

(دهيمي، بوبيش، 2013)

أما "مصطفى عشوي" ووفقا لتحليلاته لنظرية ابن نبي في التغيير؛ فيرى أن من أهم عوامل التغيير هو:

1) تقوية الجانب الروحي.
2) بذل الجهد الفكري.
3) ربط الجانب الفكري (العقلي) بالجانب الروحي وبالجانب السلوكي.
4) تكوين مناخ عقلي ينبذ فيه التفكير الخرافي وما يمت به من صلة، وينشر فيه العلم على كل مستويات المجتمع، وتتبادل فيه المعرفة بين كل أفراد المجتمع ومؤسساته.

ثانيا- معرفة الآخرين:

فلابد للمسلم من معرفة أنفس الآخرين دون تعال أو غرور بدعوى أنه أعد للجنة وأعد للتكريم، إذ أن معرفة ما بأنفس الآخرين أمر مهم بالنسبة للمسلم الحامل لرسالة الإسلام، فتلك المعرفة تحقق له أمرين.

الأول: التمكن من استخدام الوسيلة المناسبة لتبليغ نور الإسلام إلى تلك الأنفس، فهو إن لم يعرفها فلن يستطيع التصرف معها بحكمة، أو تبليغها نور الهداية.

الثاني: الحذر من شرهم عن خبرة ودراية، وإدراك لكل معطيات نفوسهم، فإذا لم يعلم ما بأنفس أولئك الأقوام فإنه سيكون فاقداً للخبرة فيما يتعلق بأخذ الحيطة منهم **(مالك بن نبي، 2016، ص 43- 44).**

ذلك أن التاريخ و الواقع يجليان لنا حقيقة ماثلة أمام أعيننا وهي أن الحضارة الإسلامية باعتبارها صاحبة نموذج حضاري متميز وعالمي التوجه، وبوصف نموذجها مغاير لكثير من قيم النموذج الحضاري المهيمن اليوم فإن المسؤوليات والواجبات الحضارية أصبحت مضاعفة وأكثر تعقيدا وتشابكا من ذي قبل، ومن المتوقع أن تواجه الأمة الإسلامية بحكم موقعها ونموذجها ورسالتها مواجهات حضارية شرسة إما أن تقودها إلى القوة والفاعلية الحضارية، وإما أن تعمق ضعفها وعزلتها وتخلفها الحضاري **(برغوث، 2005، ص 67).**

ثالثا – أن يعرف الآخرين بنفسه وبما يملكه لهم:

العنوان: جامعة الجزائر2، عمارة مخابر البحث،شارع جمال الدين الأفغاني – بوزريعة – الجزائر-**الموقع الإلكتروني(URL):** http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/283 -

أو ما يسمى بتقديم نموذج عملي للإسلام فكما أن بن نبي يقف على مسألة جد مهمة وهي: علينا أن نتشبع بالفكرة القرآنية ونقتنع بها، وفي الآن نفسه علينا أن نقنع الآخرين بها، وإلا فإن التحدي الحضاري سوف يفرض نفسه علينا.

وإن مهمة المسلم اليوم إذا أراد أن يكون له دور فاعل ومؤثر، أن يرتكز على أصالة الفكرة الإسلامية القائمة على الإسلام، ويربط بين المبدأ وبين المنطق العملي الذي هو أهم خصائص العصر الحديث ففي منطق هذا العصر المنغمس في البراغماتية، لا يهمه إثبات صحة الأفكار بالمستوى الفلسفي أو الأخلاقي، بل بالمستوى العملي، فالأفكار صحيحة إذا ما ضمنت النجاح. ولا يكفي أن نعلن عن قدسية القيم الإسلامية، بل علينا أن نزودها بما يجعلها قادرة على مواجهة روح العصر. فعلاقة المسلم بالإسلام علاقة مزدوجة لها مستويان:

1) **مستوى الحقيقة المنزلة** أي العلاقة الروحية، ومن هذه الناحية، فنحن لا نحتاج أن نقنع المسلم بوجود الله ولا بصحة الإسلام، فالعلاقة الروحية قوية سليمة لا يمكن مسها باعتبارها يقينا مطلقا والضمير المسلم لا يشعر بأي نوع من القلق الميتافيزيقي.
2) **المستوى الاجتماعي** الذي من خلاله يعيش المسلم إسلامه في حياته حقيقة اجتماعية تحكم يومياته وتوجه سيره في المجتمع، ويرتبط بالإسلام سلوكيا. وبتعبير آخر استحضار الوظيفة الاجتماعية للدين.ولكن العلاقة الاجتماعية في واقع المسلمين اليوم على العكس من ذلك أفسدتها المشاكل المادية التي فرضتها الحياة المعاصرة على كل مسلم.

والنموذج العملي للإسلام مطلوب من وجهين:

الأول للمسلمين ذاتهم: حتى يطمئنوا بأن الإسلام ليس فكرة طوباوية، أو أنها فلتة زمان حدثت مع السلف الصالح ولن تتكرر، وبالتالي يدخلهم الشك في مدى عملية التعاليم الإسلامية والقيم التي يقدمها الإسلام للناس لتحكم الحياة وتهدي الناس.

والثاني لغير المسلمين: لتبليغ قيم الهداية إليهم وتحويلها إلى سلوكيات عملية مرتبطة بالعمل، وبخاصة في زمننا هذا، الذي لا يحتفل الناس كثيرا بالقيمة الذاتية للفكرة بقدر ما ينصب اهتمامهم لثمرتها العملية في تغيير شؤون حياتهم، وتحقيق مصالحهم وإنقاذهم من ضنك المادية وضلالات الوضعية، وضبابية الرؤية العلمانية للحياة.

والنموذج العملي الذي يجب أن يقدمه المسلم يكون بالارتقاء إلى المستوى الاجتماعي للحضارة، ورفع الحضارة إلى المستوى الروحي للحقيقة الإسلامية، أو بعبارة أخرى أن نحقق القدوة الحقيقية التي تحتاجها البشرية وذلك على المستوى الفردي والمستوى الاجتماعي والمستوى الحضاري فكرا ووجدانا وسلوكا. **(بن لحسن، 2017).**

خاتمة:

يستطيع العالم الإسلامي أن يستأنف المسير، ويدخل حلبة صناعة التاريخ من جديد وأن يعيد صياغة أهدافه، ويستأنف العمل الموجه القائم على الأخلاق أولا وعلى العلم والتخطيط، والذي يضمن تأليف الجهود لتغيير وضع الإنسان المسلم وخلق بيئته الجديدة التي تمكنه من ممارسة دوره الحضاري الريادي في تبليغ الرسالة وإخراج نفسه والآخر من ظلمات الحروب والنزاعات والأزمات في شتى ميادين الحياة وأن يقدم للإنسانية ما تحتاج وتفتقر إليه بوصفه المستحق الأول ليكون خليفة الله في الأرض تحقيقا للآية الكريمة ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾ (سورة آل عمران ، الآية 110).

الهوامش:

1) **القرآن الكريم.**
2) الأخضر، شريط. **التغير الحضاري في فكر مالك بن نبي.**
www.philadelphia.edu.jo/arts/17th/day_one/session_two/shareet.doc
3) بابا عمي، محمد. (2016) . **محورية الأخلاق في فكر ابن نبي وفتح الله كولن** . نسمات -دراسات حول مشروع الخدمة . القاهرة: دار النيل . ص (45 - 59)

العنوان: جامعة الجزائر2، عمارة مخابر البحث،شارع جمال الدين الأفغاني – بوزريعة – الجزائر-**الموقع الالكتروني(URL):** http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/283 -

4) برغوث، عبد العزيز. (2005). **من أساسيات المنهج الحضاري عند مالك بن نبي.** ورقة عمل قدمت في إطار أشغال الندوة الدولية التي نظمتها جمعية النبراس بعنوان مالك بن نبي مفكر شاهد ومشروع متجدد. بوجدة. ص (49 - 75).
5) بن نبي، مالك. (1991). **مشكلة الثقافة** .ترجمة عبد الصبور شاهين إشراف ندوة مالك بن نبي . الطبعة الرابعة. الجزائر: دار الفكر، دمشق دار الفكر.
6) بن نبي، مالك. (1986). **ميلاد مجتمع شبكة العلاقات الاجتماعية**. ترجمة عبد الصبور شاهين إشراف ندوة مالك بن نبي . الطبعة الثالثة . الجزائر: دار الفكر، دمشق دار الفكر .
7) بن نبي، مالك. (2016) . **دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين**. الطبعة السادسة . دمشق: دار الفكر، بيروت : دار الفكر .
8) بن نبي، مالك. (2005). **تحقق نبوءة أبي: سأعود بعد ثلاثين سنة**. ورقة عمل قدمت في إطار أشغال الندوة الدولية التي نظمتها جمعية النبراس بعنوان مالك بن نبي مفكر شاهد ومشروع متجدد . بوجدة . ص (09 - 11)
9) بن لحسن، بدران. (2017)،**"رسالة ابن نبي للشباب المسلم في زمن العولمة"** 11 -05 - 2017. binbadis.net/archives/2563
10) بوشبكة، عبد المجيد. (2016) **صناعة الأجيال – رافعة الانبعاث الحضاري.** نسمات - دراسات حول مشروع الخدمة . القاهرة: دار النيل . ص (2 - 15) .
11) دهيمي، زينب. بوبيش، فريد. (2013). الإستراتيجية التربوية للتغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي" . **دراسات نفسية وتربوية – مخبر تطوير الممارسات النفسية والتربوية**، 11، ص 129 - 146 .
12) الراشد، صالح صلاح .(2004). **كيف تخطط لحياتك**. مركز الراشد للتنمية الاجتماعية والنفسية.
13) السرجاني، راغب. (2014). **مالك بن نبي فيلسوف الحضارة والنهضة**. 26 – 06 – 2014 https://ar.islamway.net
14) سلطان، جاسم. **أداة فلسفة التاريخ**. سلسلة مشروع النهضة والقادة .www.4nahda.com/books/philo.pdf
15) عدوان، عصام محمد. (2007). **مشكلات العالم الإسلامي الثقافية والفكرية والدينية ومعالجاتها في فكر مالك بن نبي**. بحث مقدم إلى مؤتمر **"الإسلام والتحديات المعاصرة"** المنعقد بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية في الفترة: 2-2007/4/3م.
16) عشوي، مصطفى. (دت). **إنسان الحضارة في فكر ابن نبي**. faculty.kfupm.edu.sa/MGM/mustafai/.../Man%20in%20Ben%20Nabi%20Thought.do.
17) مسقاوي، عمر. (2005). **"شروط النهضة والبناء الجديد في فكر مالك بن نبي"** . ورقة عمل قدمت في إطار أشغال الندوة الدولية التي نظمتها جمعية النبراس بعنوان مالك بن نبي مفكر شاهد ومشروع متجدد. بوجدة . ص (31-12).

العنوان: جامعة الجزائر2، عمارة مخابر البحث،شارع جمال الدين الأفغاني – بوزريعة – الجزائر-**الموقع الالكتروني(URL):** http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/283 -